الباب الثامن والعشرون
في ذكر حال الموحدين
في النار وخروجهم منها برحمة
أرحم الراحمين وشفاعة الشافعين

قد تقدم في الأحاديث الصحيحة أن الموحدين يمرون على الصراط فينجو منهم من ينجو ، ويقع منهم من يقع في النار ، فإذا دخل أهل الجنة فقدوا من وقع من إخوانهم الموحدين في النار ، فيسألون الله ـ عز وجل ـ إخراجهم منها .

١ ـ (١٧٥) روى زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل سبق منه ذكر المرور على الصراط ثم قال : « **حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون : ربنا إنهم كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه ، فيقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول لهم : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا ، فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه نصف مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقًا كثيرًا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا بإخراجه أحدًا ، فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقًا كثيرًا ، فيقولون : ربنا لم نذر فيها خيرًا** » .

وكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[النساء:٤٠] « فيقول الله ـ عز وجل : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج بها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل » [(١)] . وذكر بقية الحديث خرجاه في الصحيحين ، ولفظه لمسلم .

والمراد بقوله : « لم يعملوا خيرًا قط » من أعمال الجوارح ، وإن كان أصل التوحيد معهم ، ولهذا جاء في حديث الذي أمر أهله أن يحرقوه بعد موته بالنار إنه لم يعمل خيرًا قط غير التوحيد[(٢)] . خرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة مرفوعًا ، ومن حديث ابن مسعود موقوفًا [(٣)].

٢- (٢٢٤) ويشهد لهذا ما في حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الشفاعة قال : « **فأقول : يا رب ائذن لي فيمن يقول لا إله إلا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله** » [(٤)] . خرجاه في الصحيحين . وعند مسلم : « **فيقول ليس ذلك لك أو ليس ذلك إليك** » .

وهذا يدل على أن الذين يخرجهم الله برحمته من غير شفاعة مخلوق هم أهل كلمة التوحيد الذين لم يعملوا معها خيرًا قط بجوارحهم ، والله أعلم .

---

(١) سبق برقم (١٧٥) .

(٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وغير واحد عن الحسن وابن سيرين عن النبي ﷺ قال : « **كان رجل ممن قبلكم لم يعمل خيرًا قط إلا التوحيد ، فلما احتضر قال لأهله : انظروا إذا أنا مت أن يحرقوه حتى يدعوه حمما ثم اطحنوه ثم أذروه في يوم ريح ، فلما مات فعلوا ذلك به ، فإذا هو في قبضة الله عز وجل : يا ابن آدم ما حملك على ما فعلت ؟ قال : أي رب من مخافتك ، قال : فغفر له بها ولم يعمل خيرًا إلا التوحيد** » أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٠٤ . وهو ـ كما في المسند ٨/ ١٣٦ (٨٠٢٧) ـ بإسنادين أولهما : من حديث أبي هريرة وهو إسناد صحيح متصل ، والثاني : مرسل عن الحسن وابن سيرين . فهو ضعيف لإرساله ا.هـ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٩٨ ، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٩٤ : « وإسناد ابن مسعود حسن ا.هـ.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٩/ ١٨٠ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/ ١٨٤ (١٩٣) وأوله : « **إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض ...** » .

٣ ـ (٢٢٥) وروى أبو الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **يوضع الصراط بين ظهراني جهنم عليه حسك كحسك السعدان ، ثم يستجيز الناس فناج مسلم ، ومجروح به ناج ، ومحتبس منكوس فيها ، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد وتفقد المؤمنون رجالا في الدنيا كانوا يصلون بصلاتنا ويزكون زكاتنا ويصومون صومنا ويحجون حجنا ، ويغزون غزونا ولا نراهم ، فيقول ـ عز وجل : اذهبوا إلى النار فمن وجدتموه فيها فأخرجوه ، قال : فيخرجونهم وقد أخذتهم النار على قدر أعمالهم ، فمنهم من أخذته إلى قدميه ، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه ، ومنهم من أخذته إلى أزرته ، ومنهم من أخذته إلى ثديه ، ومنهم من أخذته إلى عنقه ، ولم تغش الوجوه قال : فيستخرجونهم ثم يطرحون في ماء الحياة** » قيل : يا نبي الله وما ماء الحياة ؟ قال : « **غسل أهل الجنة ، قال : فينبتون فيها كما تنبت الزرعة في غثاء السيل ، ثم تشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا فيستخرجونهم منها ، ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدًا في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا أخرجه منها** » [(١)] . خرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٤ ـ (٢٢٦) وخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، عن عمرو بن يحيى المازني ، عن أبيه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **يدخل أهل الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله ـ عز وجل : أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة ، أو حبة من خردل ، من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة أو الحياء ـ شك مالك ـ فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية** » [(٢)] . ولفظه للبخاري . وعند مسلم « **فيخرجون منها حمما قد امتحشوا** » .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٨٥ وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ا.هـ. وسكت عنه الذهبي .

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ١/ ١٢ ، وفي الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ٨/ ١٤٤ ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١/ ١٧٢ (١٨٤) . =

٥ ـ (١٩٨) وفي الصحيحين أيضًا عن الزهري ، عن عطاء بن يسار [١] ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **يجمع الله الناس يوم القيامة** » فذكر الحديث بطوله ، وفيه ذكر جواز الناس على الصراط ثم قال : « **حتى إذ فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل الكبائر من النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ، ممن دخل النار يعرفون بأثر السجود تأكل النار ما من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل** » [٢] . وذكر بقية الحديث .

٦ ـ (٢٢٧) وخرج مسلم من حديث يزيد الفقير ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن قومًا يُخرجون من النار يحترقون فيها إلاّ دارة وجوههم حتى يدخلوا الجنة » [٣] .

٧ ـ (٢٢٨) وخرج أيضًا من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار ـ بذنوبهم أو قال : بخطاياهم ـ فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن في الشفاعة ، فجيء بهم ضبابير ضبابير ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل لأهل الجنة : أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل** » [٤] . وظاهر الحديث يدل على أن هؤلاء يموتون حقيقة وتفارق أرواحهم أجسادهم .

= « **نهر الحيا** » : الحيا هو المطر . سمي حيا لأنه تحيا به الأرض . وكذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون وتحدُث فيهم النضارة ، كما يُحدث ذلك المطر في الأرض . « **ملتوية** » : أي ملفوفة مجتمعة . وقيل : منحنية . « **امتحشوا** » : احترقوا .ا.هـ.

(١) الصواب : عطاء بن يزيد كما في الصحيحين .

(٢) سبق تخريجه برقم (١٩٨) .

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ١/ ١٧٨ (١٩١) .
« **دارة** » : هي ما يحيط بالوجه من جوانبه . ومعناه : أن النار لا تأكل كل دارة الوجه لكونها محلّ السجود ا.هـ.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١/ ١٧٢ (١٨٥) .

« **ضبائر ضبائر** » : قال أهل اللغة : الضبائر جماعات في تفرقة . « **فبثوا** » : معناه : فرقوا .ا.هـ.

٨ ـ (٢٢٩) ويدل على ذلك ما خرجه البزار من حديث عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد بن مسلمة ، أخبرني موسى بن جبير ، عن أبي أمامة بن سهل ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **إن أدنى أهل الجنة حظًا ـ أو نصيبًا ـ قوم يخرجهم الله من النار ، فيرتاح لهم الرب تعالى إنهم كانوا لا يشركون بالله شيئًا ، فينبذون بالعراء فينبتون كما تنبت البقلة ، حتى إذا دخلت الأرواح أجسادها ، قالوا : ربنا كما أخرجتنا من النار وأرجعت الأرواح إلى أجسادها فاصرف وجوهنا عن النار ، فتصرف وجوههم عن النار** »[(١)].

٩ ـ (٧٠) وروي مسكين أبو فاطمة حدثني اليمان بن يزيد ، عن محمد بن حمير ، عن محمد ابن علي ، عن أبيه ، عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها إذا ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين من دخل النار منهم في الباب الأول من جهنم ، لا تزرق أعينهم ، ولا تسود وجوههم ، ولا يقرنون بالشياطين ، ولا يغلون بالسلاسل ، ولا يجرعون الحميم ، ولا يلبسون القطران في النار حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد ، وحرم صورهم على النار من أجل السجود ، منهم من تأخذه النار إلى قدميه ، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه ، على قدر ذنوبهم وأعمالهم ، فمنهم من يمكث فيها شهرًا ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها ، وأطولهم فيها مكثًا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى ، فإذا أراد الله أن يخرجوا منها ، قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد : آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء ، فيغضب الله لهم غضبًا لم يغضبه لشيء مما مضى فيخرجهم إلى عين في الجنة ، وهو قوله تعالى : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾**[(٢)] [الحجر:٢] . خرجه ابن أبي حاتم وغيره ؛

---

(١) أورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٤٠٠ وقال : « رواه البزار ورجاله ثقات » ا.هـ.

(٢) سبق برقم (٧٠) .

وخرجه الإسماعيلي مطولاً ، وقال الدراقطني في كتاب المختلق : هو حديث منكر ، واليمان مجهول ، ومسكين ضعيف ، ومحمد بن حمير لا أعرفه إلا في هذا الحديث . انتهى .

وقد سبق حديث أنس في الذي ينادي في النار ألف سنة : يا حنان يا منان ثم يخرج منها[1] .

وروينا من طريق محمد بن معاوية ، حدثنا حازم عن الحسن قال : أهل التوحيد في النار لا يقيدون ، فتقول الخزنة بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء يقيدون وهؤلاء لا يقيدون ؟ فناداهم مناد : إن هؤلاء كانوا يمشون في ظلام الليل إلى المساجد .

وقال مروان بن معاوية ، عن مالك بن أبي الحسن ، عن الحسن قال : يخرج رجل من النار بعد ألف عام ، قال الحسن : ليتني ذلك الرجل .

*****

(١) سبق تخريجه صـ ٢٤١ .

فصل
إن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه

قال أحمد بن أبي الحوارى : دخلت على أبي سليمان وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : لئن طالبني بذنوبي لأطالبنه بعفوه ، ولئن طالبني ببخلي لأطالبنه بجوده ، ولئن أدخلني النار لأخبرن أهل النار أني كنت أحبه .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى بإسناده ، عن علي بن بكار أنه سئل عن حسن الظن بالله ، قال : أن لا يجمعك والفجار في دار واحدة[١] .

وعن سلمان بن الحكم بن عوانة : أن رجلا دعا بعرفات فقال : لا تعذبنا بالنار بعد أن أسكنت توحيدك قلوبنا ، قال : ثم بكى وقال : ما أخالك تفعل بعفوك ، ثم بكى ، وقال ولئن فعلت فبذنوبنا لا تجمعن بيننا وبين قوم ظالمين عاديناهم فيك[٢] .

وعن حكيم بن جابر قال : قال إبراهيم ـ عليه السلام : اللهم لا تشرك من كان يشرك بك وبمن كان لا يشرك بك[٣] .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثني أبو حفص الصيرفي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان إذا تلا : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل:٣٨] قال : ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت ، أتراك تجمع بين القسمين في دار واحدة ، ثم بكى أبو حفص بكاءً شديدًا[٤] .

وروى أبو نعيم بإسناده عن عون بن عبد الله قال : ما كان الله لينقذنا من شر ثم

---

(١) موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا (حسن الظن بالله) ١/ ١٩ (١١) . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م . تحقيق عبد الحميد شاوحة .

(٢) المصدر السابق ١/ ١٩ (١٢) .

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٠ (١٤) . وعنده « **اللهم لا تشمت من كان يشرك بك** .... » . وفيه عمر بن ذر ، وهو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمدانى .

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٠ (١٥) .

يعيدنا فيه : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران:١٠٣] . وما كان الله ليجمع بين أهل القسمين في النار : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل:٣٨] . ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت[١] .

وقال محمد بن إسحاق السراج : حدثنا حماد بن المؤمل الكلبي ، حدثني بعض أصحابنا عن ابن السماك قال : لما طلبني هارون الرشيد قال : تكلم وادع ، فدعوت بدعاء أعجبه وقلت في دعائي : اللهم إنك قلت : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ اللهم إنا نقسم بالله جهد أيماننا لتبعثن من يموت ، أفتراك يا رب تجمع بين أهل القسمين في مكان واحد ، وهارون يبكي .

*****

(١) أبو نعيم في : الحلية ٤/ ٢٦٣ .